التأصيل الديني لمصطلحي الإصلاح والتجديد

د. سعاد سطحي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الإصلاح والتجديد من المصطلحات التي تحتاج إلى بيان وتفصيل ومعرفة مكانتهما في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وإبراز العلاقة بينهما، هذا ما سوف أتناوله بالبحث والدراسة من خلال النقاط الآتية :

أولا ـ تعريف الصلاح والإصلاح والتجديد:

1 ـ تعريف الصلاح والإصلاح :

فالصلاح والإصلاح في اللغة كلاهما نقيض الفساد والإفساد، تقول : صلح الشيء وأصلحه بعد فساده إذا أقامه وقد أنشد الشاعر العربي أبو زيد :

فكيف بأطرافي إذا ما شتمتني ؟ وما بعد شتم الوالدين صُلوح [1]

أما الصلاح والإصلاح في الاصطلاح فيراد بهما أن يكون الإنسان صالحا في ذاته، قد بدأ بنفسه فطهرها وهذبها وأقامها على الصراط، فأصبحت نفسا طيبة صالحة، ثم انتقل الإنسان بعد ذلك إلى إصلاح غيره وتهذيب سواه ، ولذلك قال القائل الحكيم : الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الأمم ." [2]

---

[1] - لسان العرب مادة صلح 4 / 2479 .

[2] - الشرباصي : موسوعة أخلاق القرآن 208/4 .

2 – تعريف التجديد :

التجديد في اللغة هو وصل ما انقطع من المعهود وإعادته إلى حالة الفاعلية بعد أن أدركه البلى على مرور الزمن ، فاحتاج إلى من يعيده إلى حالته الأولى التي كان عليها .[3]

إن التجديد في الاصطلاح عبارة عن تلكم الجهود العلمية والعملية التي تبذل لإصلاح الناس في الدنيا : إما من جهة التفكير الديني الراجع إلى إدراك حقائق الدين، وإما من جهة العمل الديني الراجع إلى إصلاح الأعمال ، وإما من جهة تأييد سلطانه .[4]

ثانيا . الصلاح والإصلاح والتجديد في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية:

إن المتأمل لنصوص القرآن الكريم يلحظ تكرر مادة الصلاح والإصلاح فيه أزيد من مائة وسبعين مرة [5]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية الإصلاح في حياة الأفراد والأمم ، ولذلك أولاه القرآن الكريم هذه العناية الخاصة وذلك بتكراره إياه في هذا الكم الهائل من الآيات القرآنية الكريمة .

بل جعل الصلاح والإصلاح من مواصفات طائفة من الأنبياء والمرسلين .

إذ قال في وصف إبراهيم عليه السلام :

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[6]

وقال عن سيدنا يحيى :

---

[3] – ابن منظور : لسان العرب مادة جدد 81/4 ، وقارن لزاما بـ : عبد الوهاب فرحات : سيدي أبو الحسن الشاذلي حياته ومدرسته في التصوف 97 .

[4] – محمد الطاهر ابن عاشور : تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة 113 . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1985 تونس .

[5] – محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم 410 – 412 .

[6] – سورة البقرة ، آية رقم : 130 .

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [7]

وقال عن سيدنا عيسى (عليه السلام) :

﴿ إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[8]

وفي سورة الأنعام يقول :

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [9]

وفي سورة الأنبياء :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ [10]

وفي السورة ذاتها : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [11]

وهذا شعيب ينادي كما في سورة هود بأنه لا يريد إلا الإصلاح الناشئ عن الصلاح كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [12]

---

7 - آل عمران : 39 .

8 - آل عمران : 46 .

9 - سورة الأنعام، آية رقم : 85 .

10 - سورة الأنبياء ، آية رقم : 72 .

11 - سورة الأنبياء، آية رقم : 85 – 86 .

12 - سورة هود، آية رقم : 88 .

أي لا أقصد إلا الإصلاح العام لكم ، بالتزامي الدعوة إلى ما أمر الله به ، والنهي عما نهى عنه ، فلا أريد نفعا ذاتيا ولا مأربا شخصيا ولا يتحقق توفيقي لما أرتجي إلا بفضل الله وقوته . [13]

كما نجد اهتمام السنة النبوية الشريفة بظاهرتي التجديد والإصلاح ولا أدل على ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها . " [14]

وقوله صلى الله عليه و سلم : " يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين وتحريف الغالين" [15].

ثالثا . علاقة الصلاح بالإصلاح :

إن المتتبع للنصوص الشرعية يلمس الارتباط الوثيق بين مدلولي الصلاح والإصلاح ، إذ لا إصلاح بدون صلاح لأنه لا يتصور وجود إصلاح والقائمين عليه غير صالحين في أنفسهم ودعوتهم ، إذ الأولى أن يكون الإنسان صالحا في ذاته قدوة لغيره حتى يكون لإصلاحه تأثيره فيمن يريد إصلاحهم.

---

[13] - الشرباصي : موسوعة أخلاق القرآن 212/4 - 213 .

[14] - أبو داود : السنن ، كتاب : الملاحم ، باب : ما يذكر في قرن المائة 4 / 109 .

[15] - البيهقي : سنن الكبرى ، كتاب : الشهادات ، باب : الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول كفوا عن حديثه لأنه يغلط أو يحدث بما لم يسمع أو أنه لا يبصر الفتيا. 15 / 296 .

وقد اختلف في هذا الحديث قبولا وردا ، إلا أننا نستأنس بتصحيح الإمام أحمد له حيث قال لما سأله مهنى بن يحيى قائلا له : " كأنه كلام موضوع : فقال : " لا هو صحيح " ، فقيل له : " ممن سمعته ؟ " ، قال : " من غير واحد " ، فقيل له : " من هم ؟ " ، قال : " حدثني به مسكين ، إلا أنه يقول عن معان عن القاسم بن عبد الرحمن، قال أحمد : " ومعان لا بأس به ، وثقه ابن المديني أيضا . "

شرح الألفية للعراقي 298/1 .

كما نستأنس بتصحيح ابن حبان له والبقاعي .

الصنعاني : توضيح الأفكار 129/2 .

قال الله ﷻ على لسان سيدنا شعيب : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [16]

وقال ﷻ أيضا ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [17]

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [18]

﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ فَلَوْلَا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [19]

﴿ وَالَّذِينَ يمسكون بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [20]

﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [21]

وصدق أبو الأسود الدؤلي حين قال:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي ... الضنى كيما يصح به وأنت سقيم

فابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت فأنت حكيم

---

16 - سورة هود، آية رقم : 88 .

17 - سورة الأعراف، آية رقم : 56.

18 - سورة الأعراف، آية رقم : 85.

19 - سورة هود ، آية رقم : 115 - 117.

20 - سورة الأعراف ، آية رقم : 7.

21 - سورة القصص ، آية رقم : 28.

وهناك يسمع ما تقول ويشتفى بالقول منك وينفع التعليـــــم
لا تنه عن خلق وتأتي مثلـــه عار عليك إذا فعلت عظيـــم

وقال أبو العلاء المعري :

إذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة أساء

وقال أمير الشعراء أحمد شوقي :

وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة جاءت على يده البصائر حولا

وقد أشار الإمام أبو حامد الغزالي إلى أن الجدير بالمسلم أن يبدأ بنفسه حتى يتحقق له الصلاح ثم يتدرج في إصلاح من حوله مرحلة بعد مرحلة فقال :

فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه، فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ، ثم إلى أهل محلته ، ثم إلى أهل بلده ، ثم إلى أهل السواد المكتنف ببلده ؛ ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم ، وهكذا إلى أقصى العالم ، فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد ، ولا حرج به على كل قادر عليه، قريبا كان أو بعيدا " [22]

رابعا ـ ثمرات الإصلاح والتجديد :

لقد سبق وأن قررنا بأنه لا إصلاح دون صلاح وتجديد وأن هذه المصطلحات مرتبطة ببعضها ارتباط الشيء بظله ، فارتأينا هنا أن نبين ما للصلاح والإصلاح والتجديد من مكانة سامقة وذلك من خلال ما أعده الله من ثمرات يانعة يجنيها المصلح والمجدد في دنياه وأخراه.

وهذه شذرات منها : [23]

---

[22] - الشرباصي : موسوعة أخلاق القرآن 4/208 – 209 .

[23] - الشرباصي : موسوعة أخلاق القرآن 4/ 218 – 220 .

1. التحصن من الهلاك لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [24].

2. مغفرة الذنوب : وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [25]

3. وراثة الأرض ، قال ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [26]

4. تكفير السيئات قال ﷻ : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [27]

وقال أيضا : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [28]

5. الإحاطة بولاية الله ، قال ﷻ : ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [29]

6. الحياة الطيبة والأجر الحسن . قال ﷻ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [30]

وقال أيضا : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [31]

---

[24] - سورة هود ، آية رقم : 117.

[25] - سورة المائدة، آية رقم : 9.

[26] - سورة الأنبياء ، آية رقم : 105 .

[27] - سورة الإسراء، آية رقم : 25 .

[28] - سورة التغابن ، آية رقم : 9 .

[29] - سورة الأعراف، آية رقم : 196 .

[30] - سورة النحل، آية رقم : 97 .

خامسا ـ علاقة الإصلاح بالتجديد :

مما لا شك فيه أن الإصلاح قرين التجديد ، إذ يفتقر إلى مجددين .

فعن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين وتحريف الغالين" [32].

قال الإمام النووي :

" وهذا إخبار منه ﷺ بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خلفا من العدول يحملونه ، وينفون عنه التحريف وما بعده فلا يضيع ..... " [33].

ولاشك أن الإصلاح لصيق التجديد في شتى مناحي الحياة ، إذ التجديد ما هو إلا جزء من كينونة الإصلاح ، وهذا ما يوضحه تعريف الإمام العلامة محمد الطاهر بن عاشور له حيث يقول عن التجديد بأنه :

" عبارة عن الجهود العلمية والعملية التي تبذل لإصلاح الناس في الدنيا : إما من جهة التفكير الديني الراجع إلى إدراك حقائق الدين، وإما من جهة العمل الديني الراجع إلى إصلاح الأعمال ، وإما من جهة تأييد سلطانه ." [34]

ولا ريب أن هذا التعريف للتجديد يلمس منه أنه أحد أساسيات الإصلاح إذ يحدد أبعاد هذا التجديد في ثلاثة محاور رئيسة لا يستغني عنها أي مصلح في خوض غمار معترك حركته الإصلاحية ألا وهي :

---

[31] - سورة آل عمران، آية رقم : 104 .

[32] - سبق تخريجه .

[33] - تهذيب الأسماء واللغات 17/1 .

[34] - تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة 113 . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1985 تونس .

1. بعد الفهم له .2-بعد العمل به .

3-عد المحافظة عليه .[35]

ونظرا لما للتجديد من أهمية بالغة ومكانة مرموقة في الحركات الإصلاحية قيض الله لهذه الأمة ثلة من المصلحين والمجددين ، بل إن المولى عز وجل يرسل على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، فعن أبي علقمة عن أبي هريرة فيما أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ."[36]

هذا وقد برز عبر التاريخ الإسلامي مصلحون ومجددون كثر ، كان لهم القدم الراسخة في إصلاح أحوال أممهم ، وها هو الحاكم النيسابوري يحدثنا عن بعضهم فيقول :

" سمعت الأستاذ أبا الوليد رضي الله عنه يقول : كنت في مجلس أبي العباس بن شريح إذ قام إليه شيخ يمدحه فسمعته يقول : حدثنا أبو الطاهر الخولاني ثنا عبد الله بن وهب أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن شرحبيل بن يزيد، عن أبي علقمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قال: " إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"، فابشر أيها القاضي فإن الله بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وبعث على رأس المائتين محمد بن إدريس الشافعي وأنت على رأس الثلاث مائة وأنشأ يقول :

اثنان قد مضيا و بورك فيهما عمر الخليفة ثم خلف السؤدد

الشافعي الأبطحي محمد إرث النبوة و ابن عم محمـــد

أبشر أبا العباس إنك ثالث من بعدهم سقياً لتربة أحمـــد

---

35 - عبد الوهاب فرحات : سيدي أبو الحسن الشاذلي حياته ومدرسته في التصوف 97 .

36 - سبق تخريجه .

قال : فصاح القاضي أبو العباس رحمه الله تعالى بالبكاء ، و قال : قد نعى إلي نفسي هذا الشيخ ، فحدثني جماعة من أصحابي أنهم حضروا مجلس الشيخ الإمام أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان ، و جرى ذكر هذه الحكاية فحكوها عني بحضرته و في المجلس أبو عمر البسطامي الفقيه الأرجائي فأنشأ أبو عمرو في الوقت :

و الرابع المشهور سهل محمد أضحى إماماً عند كل موحد
يأوي إليه المسلمون بأسرهم في العلم إن خرجوا فنعم مؤيد
لا زال فيما بيننا شيخ الورى للمذهب المختار خير مجدد

فسألت الفقيه أبا عمرو في مجلسي فأنشدنيها ".[37]

. سادسا : نماذج عملية للإصلاح والتجديد في التاريخ الإسلامي المجيد:

إن أكبر هم المصلحين الإسلاميين الواعين أن ينشأ في الأمة جيل مسلم مؤمن جديد يستحق أن يسمى جيل النصر . جيل يعود بالإسلام إلى ينابيعه الصافية ، ويفهمه فهما صحيحا متكاملا، خالصا من الحشو والشوائب، فليس هو إسلام عصور التخلف، الذي كدرت عقائده الخرافات وأفسدت عباداته البدع، وغلبت على أخلاقه السلبية، وطغى على فقهه الجمود والتقليد والعصبية المذهبية.

إنما هو الإسلام الأول ، الذي نزل به القرآن العظيم ، ودعا إليه الرسول الكريم ، وآمن به أصحابه الأطهار ، وحكم به خلفاؤه الراشدون ، وقامت على أساسه حضارة شامخة الذرا موثقة العرى ، وصلت الأرض بالسماء، وقادت الدنيا بالدين، وجمعت بين العلم واليقين إنه إسلام الحق والقوة ، و العلم والعمل ، والجهاد والاجتهاد ، والشمول والتوازن والترابط في

---

[37] - المستدرك . كتاب الفتن والملاحم 568/4 .

الأسرة والتكافل في المجتمع، والشورى في الحكم، والتنمية للإنتاج والتحسين للإنتاجية ، والعدالة في التوزيع ، والحقوق للجميع .[38]

هذا هو منطق الإصلاح والتجديد الذي نصبو إلى غرسه وتحققه في أوساط مجتمعاتنا وأممنا وذلك بالرجوع بها إلى المعين الصافي ، والنبع السلسبيل والمورد الذي لا ينضب عطاؤه ولا تغيض إمداداته، المتمثل في الكتاب والسنة وما حوياه من هداية وإصلاح وتجديد لأحوال البشرية في معاشها ومعادها ، وفي عاجل أمرها وآجله .

ولا شك أن المستقرئ لتاريخنا الإسلامي المجيد يجد فيه نماذج حية عملية للإصلاح والتجديد بغية الرقي بالمجتمع نحو الأفضل .

وأول نموذج ينبغي البدء هو الدعوة الإصلاحية التي جاء بها رسول الله ﷺ ليخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، إذ لم يكن محمد عليه الصلاة والسلام إماما لقبيل من الناس صلحوا بصلاحه ، فلما انتهى ذهبوا معه في خبر كان ، بل كان قوة من قوى الخير لها في عالم المعاني ما لاكتشاف البخار والكهرباء في عالم المادة، وإن بعثته لتمثل مرحلة من مراحل التطور في الوجود الإنساني ، كان البشر قبلها في وصاية رعاتهم أشبه بطفل محجور عليه إلى أن جاء الخطاب الإلهي إليه عن طريق محمد ﷺ يشرح له كيف يعيش في الأرض، وكيف يعود إلى السماء، فإذا بقي محمد ﷺ أو ذهب فلن ينقص ذلك من جوهر رسالته ؛ إذ تعد رسالته تفتيحا للأعين والآذان، وتجلية للبصائر والأذهان، إنه لم يبعث ليجمع حول اسمه أناسا قلوا أو كثروا ، إنما بعث صلة بين الخلق والحق الذي يصح به وجودهم ، والنور الذي يبصرون به غايتهم .[39]

فكان بحق مصلحا لما فسد من أوضاعهم ومجددا لما بلي من دعوات الحق التي جاء بها إخوانه السابقون من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

---

[38] - يوسف القرضاوي : جيل النصر المنشود 26 – 27 .

[39] - محمد الغزالي : فقه السيرة 21 .

وحق للإمام البوصيري أن يقول في حقه واصفا الناس قبل بعثته بأنهم كانوا في فساد وحيرة وبؤس في أمس الحاجة إلى من يقوم إعوجاجهم ويصلح ما اعتراهم من إفساد ويجدد ما بلي من مكارم الأخلاق :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم إلا على صنم قد هام في صنم
فعاهل الروم يطغى في رعيته وعاهل الفرس من كبر أصم عمي

حتى تأذن الله ليحسمن هذه الآثار وليسوقن هداته الكبرى إلى الأنام ، فأرسل إلى الأمة محمدا عليه الصلاة والسلام مصلحا ومجددا .[40]

ثم استمرت حركات الإصلاح والتجديد يقودها العلماء الذين أبلوا بلاء حسنا في إصلاح الأفراد والمجتمعات، وذلك بما حباهم به الله من أنوار العلم والمعرفة، كيف لا يكونون كذلك وهم ورثة الأنبياء ، وهذا مصداقا لقوله ﷺ في حديث أبي الدرداء ﷺ : " من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ".[41]

ثم تتالت حركات الإصلاح والتجديد عبر أزمنة التاريخ الإسلامي المتعاقبة فظهر فقهاء المدينة السبعة، ثم أصحاب المذاهب الفقهية المتعددة، ثم تعاقب المصلحون والمجددون مرورا بالقرون السالفة إلى عصرنا الحاضر من أمثال ابن العربي، والقاضي عبد الوهاب وابن عبد البر، وابن حزم الأندلسي ، وأبي الوليد الباجي ، وابني رشد الجد والحفيد، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ومحمد عبده، وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد رشيد رضا، ومحمد

محمد الغزالي : فقه السيرة 20 .

أبو داود : السنن ، كتاب :أول كتاب العلم، باب :باب الحث على طلب العلم 3 / 317 .

بن عبد الوهاب، ومحمد إقبال، وأحمد شاكر ، وعبد الحميد بن باديس وعلال الفاسي، ومحمد الطاهر بن عاشور وغيرهم من المصلحين والمجددين الذين بقيت آثارهم الإصلاحية شاهدة على تلك الجهود العظيمة التي بذلوها خدمة لأممهم وأوطانهم ومجتمعاتهم الإسلامية، إنْ في مجال التأليف والتصنيف للكتب، وإنْ في مجال بناء كيان الأمم والمجتمعات ، وصدق الشاعر العربي قديما حين قال :

وتلك آثارنا تدل علينا فقفوا بعدنا على الآثار